عباس محمود العقاد

العازب العاشق

سجل العقاد اسمه فى قائمة أعظم المفكرين فى العالم العربى ، فهو رجل من رجال مصر العظماء ، أحب القراءة منذ نعومة أظافره فأعلت القراءة من شأنه ونمت عقله .

ولد العقاد فى يونيه ١٨٨٩م بأسوان ، لأسرة فقيرة وله إخوة أشقاء وغير أشقاء ، إذ كان والده متزوجًا بأكثر من واحدة.

حولت القراءة مسار حياة العقاد تمامًا ، فعندما كان العقاد تلميذًا بالمدرسة الابتدائية لم يكن يشترى بمصروفه حلْوى كباقى زملائه ولكن كان يشترى كتبًا، كان يقرأ كل ما تقع عليه عينه .

كان العقاد طويل القامة ، ذا رأس كبير ، وجبهة عالية ، وعينين سماويتين، يتكئ على عصا ، يلف حول عنقه " كوفية " صيفًا وشتاء .

بدأ العقاد حياته الأدبية فى التاسعة من عمره. أنهى العقاد دراسته الابتدائية. وفى عام ١٩٠٤م ذهب العقاد إلى القاهرة، وعين فى وظيفة حكومية فى مدينة قنا ، ثم مدينة الزقازيق ، ثم ترك الوظيفة الحكومية ورجع إلى القاهرة ليبدأ مشواره الأدبى ، حيث اشتغل بالصحافة ولمع فيها نجمه ، وعين بمجلس الفنون والآداب ، كما عين بالمجمع اللغوى .

ألف العقاد أكثر من ٨٠ كتابًا فى موضوعات مختلفة مثل : التاريخ والجغرافيا ، والأدب ، والدين ، والشعر، ونشرت له الصحف مقالات كثيرة فكثر محبوه وأصبح مشهورًا ، وكان للعقاد أيضًا صالون أدبى وارتاد هذا الصالون شخصيات مختلفة العقول ومتنوعة المذاهب وكان يقول لهم : " لقد اخترتم الفقر ، مادمتم قد اخترتم الفكر " . كان العقاد يميل إلى العزلة والانطواء ولكنه كان يحب الحياة على الرغم من متاعبها .

أهم ما كتب العقاد : سلسلة العبقريات ، دراسته لابن الرومى ، وأبى نواس وسعد زغلول ، هتلر فى الميزان ، وعالم السدود والقيود .

وبهذا نجد أن العقاد حقق نجاحًا باهرًا فى مجال الأدب فهو لم يحصل إلا على الشهادة الابتدائية .

يعتبر العقاد أشهر أعزب فى مجال الأدباء ، فالعقاد لم يتزوج ، ولكن عدم زواج العقاد لم يمنع قلبه من أن ينبض بالحب ، وقد كتب العقاد الكثير عن هذا الموضوع فى كتبه ودواوينه ، وكأى أديب وفنان كان الحب فى حياة العقاد هو الإلهام الذى يجعله يبدع .

" مى زيادة " الأديبة التى ثار حولها الكثير من الجدل ، فهى فلسطينية المولد، ولبنانية النشأة ، وكانت تقيم صالوناً أدبيًا يضم عظام

الأدباء والمفكرين مثل: عباس العقاد وطه حسين وخليل مطران وغيرهم كثيرون وقد كانت مى زيادة شخصية رقيقة وذكية لدرجة كبيرة ، أحب العقاد مى زيادة حبًا شديدًا، حباً بريئاً طاهرًا ، وبادلته هى نفس الشعور وكانت تصف العقاد دائمًا بقولها: " إنه سريع الرضا وسريع الغضب " !.

كان العقاد يغار على مى من كل المحيطين بها ، وكانت هى تتعمد إثارة غيرته .

أما الحدث الذى هز كيان مى زيادة وأصابها بالاكتئاب الشديد والحزن العميق فهو وفاة والدها عام ١٩٢٩م وأصيبت بانهيار عصبى ورأى الأطباء ضرورة وجودها فى مستشفى للأمراض العصبية ، وظلت هناك حتى فارقت الحياة عام ١٩٤١م وحزن العقاد كثيرًا على فقده مى .

وبعد فترة ذهب العقاد يومًا لزيارة صديق له فرأى ملهمته الثانية ، سيدة جميلة جذابة ، لفتت نظره منذ النظرة الأولى ، فوقع فى غرامها وبعد حديث طويل ، جذاب اتفقا أن يتقابلا .

وتم اللقاء فى مطعم صغير ، وهناك تم التعارف الحقيقى بينهما فهى تدعى " أليس " وقد أطلق عليها العقاد فيما بعد اسم " سارة " فى قصته الشهيرة التى حملت نفس الاسم . تزوجت أليس فى العشرين من عمرها من رجل ثرى يبلغ من العمر الخمسين من عمره وكانت حياتها فارغة وتشعر دائمًا بالوحدة ، لم يكن العقاد مرتاحًا لتلك العلاقة ، وكان يحاول أن يبعد دائمًا ، ولكنه يجد أن هذا الحب لا يزال يستوطن قلبه .

ولكنه وبعد فترة من الصراع وعدم الراحة قرر أن يُنهى هذه العلاقة للأبد ، وانتهت بالفعل العلاقة بكتابة قصته الشهيرة " سارة " .

وبعد قصة العقاد مع أليس أصابه إحباط شديد ، وكان قلبه حزينًا حتى قابل العقاد فتاة سمراء جميلة لم تتجاوز العشرين من عمرها تدعى " هنومة " (مديحة يسرى) ظل يحلم بها كثيرًا دعاها أحد الأصدقاء إلى الاجتماع الأسبوعى الذى يقيمه العقاد فى منزله ويتردد عليه تلاميذه ومحبوه وانبهرت بآلاف الكتب التراثية القيمة التى تملأ بيت العقاد ، ووجدته شخصية عظيمة، يحترمه الجميع ويقدرونه فهى قبل هذا الاجتماع لم تكن تعرف من هو العقاد ؟ ولم تقرأ له ولا حتى مقالاً واحدًا ، وأخذ العقاد على عاتقه مسئولية تثقيف "هنومة " (مديحة يسرى) وتعليمها .

وخلال هذه الجلسات تعمق حبها فى قلبه أكثر وأكثر ، وبدأت هنومة تشعر أن العقاد بالنسبة لها الأستاذ والمعلم الذى تحترمه وتبجله كثيرًا ، ولكنها لم تشعر ناحيته بالحب ، فمن الجائز لأنها شعرت أنه أكبر وأعظم من أن تحبه ففضلت أن يكون أستاذها وليس حبيبها بالإضافة إلى أن العقاد كان يحاصرها بحبه الشديد لها ، فكان يسعى لمعرفة تحركاتها ، وتفاصيل حياتها ويتتبع خطواتها أينما ذهبت ، فضاقت بتصرفاته وفكرت أنه من الأفضل أن تنسحب من حياته وتهرب من هذا السجن .

كانت " هنومة " تعشق التمثيل ، ووجدت أول فرصة لها ، ولم تتركها بل قامت بتوقيع أول عقد سينمائى فى حياتها الفنية ، وعندما علم العقاد ثار ثورة عارمة وأرادها أن تمزق هذا العقد ، ولكنها فاجأته أيضًا أنها تزوجت من المطرب " محمد أمين " ولم يستمر زواجهما كثيرًا ، ثم تزوجت من الراحل "أحمد سالم " وأصبحت فنانة كبيرة ، ولاقت نجاحًا كبيرًا فى الوسط الفنى ، ثم تزوجت الراحل " محمد فوزى " ثم طلقت منه وأصبحت علاقتها بالعقاد بعد ذلك علاقة صداقة واحترام متبادل .

وظل العقاد بلا زواج حتى وفاته فى مارس ١٩٦٤م وحزن عليه تلامذته ومحبوه فى مصر والعالم العربى .

من أقوال العقاد عن الحب : " إن الإنسان لا يجد نفسه فى شىء كما يجدها فى الحب ، وإنه لا يعرف ما فيها من قوة وضعف ، ومن عطف وجمود، ومن رحمة وقسوة ، ومن خفايا وظواهر ، ومن فجيعة وضحك ، ومن حكمة وحماقة ، ومن إنسانية وحيوانية، كما يعرف ذلك جميعه فى الحب ، فالحب ومعرفة الناس صنوان .. .. ".

وخلاصة التجارب كلها فى الحب : " إنك لا تحب حين تختار ولا تختار حين تحب ، وإننا مع القضاء والقدر حين نولد ، وحين نحب ، وحين نموت.. ".